

الدكتور شاكر خصباك احتفاءً بستين عاماً من العطاء والإبداع

د. علي حداد*

بعض الدارسين- إلى أن شهرة الدكتور خصباك العلمية قد طغت على شهرته الأدبية، "شأنه في ذلك شأن كبار المبدعين في العالم الذين كانت لهم إنجازاتهم... فتجاهلها النقد بعد أن اشتهرت أعمالهم العلمية" (مقدمة الأعمال الكاملة لخصباك ص ١٥).

أما الدكتور حاتم الصكر فعدد أسباباً منها: إن الكتابة السردية العراقية خاصة لم تتل ما ناله الشعر من القراءة والرصد الفني، ومنها ما يتعلق بخصباك خاصة، كغيابه عن محيطه مبكراً ليواصل دراساته الأكاديمية، ثم أسفاره خارج العراق منذ السبعينيات (شاكر خصباك، مقالات وبحوث، ص ٤٥).

ولتبيان هذه المسألة والوقوف على تشكلها وإشكالها فقد قمنا بتقصي تجربة خصباك الأدبية

أقيمت صباح يوم الثلاثاء ١٠/٦/٢٠٠٨، وعلى قاعة مركز الدراسات والبحوث اليميني، صباحية قرائية ونقدية عن المنجز العلمي والأدبي للدكتور والأديب العراقي شاكر خصباك (احتفاءً به وتقديراً لدوره الإبداعي والعلمي، ولمناسبة صدور مؤلفاته الأدبية في ثمانية مجلدات). وقد شارك في هذه الاحتفائية عدد كبير من الأديباء والنقاد وأصدقاء الأديب وبعض ممن درس على يديه.

وقبل أن ندلف إلى توصيف ما قدم في هذه الاحتفائية نود التوقف عند مسألة تتردد كثيراً عندما يكون محور الحديث الدكتور شاكر خصباك وأدبه، مؤداها أن هذا العالم الجغرافي الكبير والأديب الثري العطاء لم ينل أدبه الكفايات القرائية والنقدية التي هو جدير بها. وقد عزا الدكتور عبدالعزيز المقالح الأمر -وشاركه في ذلك

* شاعر وأكاديمي من العراق.



الدكتور شاكر خصباء في ختام حفل التكريم الذي اقيم له في ١٠/٦/٢٠٠٨ بمركز الدراسات والبحوث اليمني

حاتم الصكر، والدكتور إبراهيم الجراي، والدكتورة سعاد محمد خضر، والدكتور علي حداد، وكريم جنتر، ومحمد حسين هيثم... وغيرهم كثير. كل هؤلاء كتبوا عن آفاق تجربة شاكر خصباء الأدبية ومساراتها المتعددة في أنواعها ومضامينها، يساوق ذلك كله ما أجري معه من لقاءات أدبية نشرت في صحف عراقية وكذلك في صحف ومجلات عربية عدة.

ليؤكد هذا كله حقيقة أن التواصل القرائي الجاد لم يكن مجانباً لتجربة خصباء الأدبية. نضع ذلك بإزاء الاعتراف أن تجربة -كالتالي نحن بصدد- تمتد لمساحة ستين عاماً من الإنجاز المتواتر والإصرار الذي لا يتوانى لا يمكن لنا أن نتوقع مجاراتها بالكم والكيف النقدي المماثل لها تماماً.

أما إذا كانت المقاصد ذاهبة إلى تشخيص غياب الدكتور شاكر خصباء عن الإسهام المعلن في الفعاليات الثقافية والأدبية، من خلال الكتابة في الصحف والمجلات أو المشاركة في المؤتمرات

وملاحقتها في مراحلها، ومن ثم رصد ما تواصل معها من جهد قرائي، لنصل إلى يقين يفاير جوانب من تلك الرؤية ومقاصدها التي تنطلق في جوهرها من الرغبة النبيلة في إيفاء خصباء وأدبه ما هو جدير به من المواجهات النقدية الجادة.

فلقد ساييرت الكتابة القارئة تجربة الكاتب الأدبية، وسعت -بقدر المتاح لها- إلى تناولها منذ مراحلها الأولى. وانشغل بذلك أدباء ونقاد وكتاب كثير، أشروا إلى طبائعها ومنجزها، وبشروا بها، وتواصلوا معها، منذ الأربعينيات من القرن الماضي وحتى وقتنا الراهن. ويكفي هنا أن نشير إلى أسماء كبيرة استوقفها كتابات خصباء من أمثال: محمود تيمور، ونجيب محفوظ، وأنور المعداوي، والدكتور علي جواد الطاهر، وغسان كنعاني، وعبدالمجيد لطفي، والدكتور صفاد خلوجي، وعبدالمملك نوري، وغائب طعمة فرمان، وجعفر الخليلي وعباس خضر، وعدنان بن ذريل، وكمال منصور، وعبدالله نيازي، وعصام محفوظ، والدكتور عبدالعزيز المقالح، والدكتور عبده علي الجسماني، والدكتور

مساحة رحبة من العمل الأدبي أو طبقاً لقوله: "أتيح لي العودة إلى الأدب من جديد والتعبير عن أفكار بحرية، واستطعت بذلك أن أخرج أهم أعمال الأدبية" (المصدر نفسه)؛ فإن ذلك كله لم يدفع بخصباك إلى معاودة التواصل مع الفعاليات الأدبية من حيث المشاركات ومراسلة الصحف والمجلات، بل اكتفى بنشر أعماله الروائية والقصصية والمسرحية وسواها بشكل مطبوعات متلاحقة وعلى نفقته الخاصة.

وعودة إلى الاحتفائية التي مرت الإشارة إليها، والتي نعدها منطلقاً جديداً من التواصل مع تجربة الدكتور شاكر خصباك الأدبية والعلمية من خلال ما تضمنته من دراسات وأبحاث واستعدادات قرائية لها قيمتها وتأثيرها في التحفيز على الاهتمام بمنجزه والإصغاء القرائي الجاد له، فضلاً عن أن هذه الاحتفالية كانت سبباً في جمع ما كُتب عن أدب الدكتور خصباك بمختلف مجالاته وتبويبه، ثم إصداره في كتاب ضخم اختير له عنوان "شاكر خصباك، ستون عاماً من الإبداع"، وهو جهد مهم يضع بين أيدي الباحثين والدارسين كل ما يبسر لهم مهمة التواصل النقدي مع منجز خصباك والكيفيات القرائية التي قاربتها، عبر مسار زمني يسايرها في حركيته وانشغالاته.

افتتح الدكتور عبدالعزيز المقالح، فعاليات الاحتفائية بكلمة أشاد فيها بالمتحقق العلمي والأدبي المتميز للدكتور شاكر خصباك، ثم قدم جوانب من دراسته عن أدب خصباك الروائي، حيث رآه واحداً من الرواد المتميزين والمثابرين القلائل على مستوى الوطن العربي الذين أغنوا المكتبة العربية بنتائجهم المتنوع، وهو روائي ورائد متمرس في مجال الكتابة الأدبية التي هي عنده - طبعاً لرأي الدكتور المقالح - تدوين فني رفيع لوقائع إنسانية تأتي بتكثيف سردي معبر يحمل أفكاراً

والمهرجانات العربية التي تعقد هنا أو هناك، فلعل الكاتب نفسه هو المسؤول عن هذا الغياب، لما هو عليه من زهد في المشاركة بمثل تلك الفعاليات أو التواصل مع جهات النشر الأدبية، وتوقفه عن الكتابة إلى الصحف والمجلات منذ فترة بعيدة أشار إليها خصباك نفسه بقوله: "بعد عام ١٩٥٥ شغلت بدراسة الدكتوراه في الجغرافيا في إنجلترا بحيث صرت في شبه عزلة عن المجلات الأدبية العربية. وحين عدت إلى الوطن في أواخر عام ١٩٥٨، اقتضت مني حياتي الجديدة الانصراف إلى مهمتي العلمية... واضطرت إلى الهجرة إلى المملكة العربية السعودية... وقد أمضيت فيها أربع سنوات... وحينما عدت إلى الجامعة في عام ١٩٦٨ شغلت مرة أخرى بعلمي الأكاديمي واضطرت إلى الانسحاب من العمل الأدبي والإسهام في المجلات الأدبية، لأن أفكاري لم تكن تتواءم وسلطة البعث الحاكمة... ثم أحلت على التقاعد عام ١٩٨٠ فعشت في عزلة في بيتي... وأخيراً وبعد خمس سنوات استجابت السلطة في عام ١٩٨٥ لطلب جامعة صنعاء للالتحاق بها" (شاكر خصباك، مقالات وبحوث، ص ٤٢).

وإذا كانت صنعاء قد فتحت للدكتور خصباك

التواصل القرائي الجاد لم يكن
مجانباً لتجربة خصباك الأدبية

قيمة عالية فيما تتوجه إليه.

إذا كانت صنعاء قد فتحت
للدكتور خصباك مساحة
رحبة من العمل الأدبي
فإن ذلك كله لم
يدفع بخصباك إلى
معاودة التواصل مع
الفعاليات الأدبية

وتناول الدكتور عبدالله البار في ورقته المعنونة بـ"الأدب المسرحي في إبداع الدكتور شاكر خصباك"، جوانب من منجز الأديب، وقد استوقفه ثراء مسرح خصباك وقدرته على سبر أغوار الحياة وتفهم أبعادها ثم التعبير عنها.

وقد بدا لنا أن الدكتور البار يذهب إلى القول بتأثير مسرح توفيق الحكيم الذهني في التوجه المسرحي عند خصباك، مبيناً -وباستطراد- زيادة الحكيم في المسرح وتأثيره في المسرح العربي بعامه، وهو ما لا تؤيده الوقائع تماماً، إذ المنجز المسرحي عموماً -وعند خصباك تحديداً- لا علاقة له بمسرح الحكيم، فهو لم يتأثر به بقدر استعداداته لمناقشته مع المسرح الغربي، ولا سيما من خلال اهتمامه المبكر بأدب الكاتب الروسي تشيخوف، وجوانب التقارب في الرؤية والفن التي تمثلها كل منهما.

يرسم أحداث مسرحياته ويحرك شخصياته فيها، وما تمثلته الاستجابات الفنية في اللغة والحوار والتأنيث المكاني من ترديد لتلك الرؤية والتمسك بقيمتها.

أما ورقة الدكتور حاتم الصكر، الموسومة بـ"شاكر خصباك... التجاهل والعرفان"، فقد سعت إلى تبيان العوامل التي أدت بتجربة خصباك الأدبية إلى ما رآه الناقد "جناية من الإهمال والتجاهل" على حد وصفه، وهو أمر طال الجيل الخمسيني الذي ينتمي إليه خصباك، من خلال طبيعة المنجز الأدبي الذي قدمه والذي تمسك بالواقعية هوية فنية له.

ومن وجهة نفسية قرأ الدكتور عبده علي الجسماني أدب خصباك، فرآه يعكس حقيقة هموم الإنسان كما يعيشها في واقع حياته اليومية، وما يكابده أبطال قصصه ورواياته ومسرحياته من صراعات مع الذات من جهة، ومع واقع الحياة من جهة أخرى.

وذهب الدكتور علي حداد، في دراسته "دراما الواقع الحصرية، قراءة في الأعمال المسرحية للدكتور شاكر خصباك"، إلى تقصي المقومات الفنية التي أسس عليها خصباك نصوصه المسرحية، عبر رصد عنصر "الصراع" وفاعليته المجسدة في عناصر الفعل المسرحي الأخرى، راصداً التوجهات الواقعية التي احتكم إليها الكاتب وهو

أما القاص محمد الغربي عمران فقد استعاد في ورقته ما تردد على أقلام الدارسين وفي مراحل مختلفة من تأملهم لتجربة خصباك الأدبية، ليصل إلى القول أن شاكر خصباك يحضر ضمن جيل من كتاب القصة والرواية الذين يسجلون في منجزهم السردي تطور الرؤية وأبعاد تشكيلها موضوعاً، وهي تتمسك بالرصد الواقعي الذي يسعى إلى

تجاوز الهيمنة المباشرة، لتصنع ما يطلق عليه "إنعاش الواقع المصور في الرواية".

ورأى الدكتور إبراهيم الجرادي في كلمته أن تكريم الدكتور شاكر خصباك هو تكريم لجهد إبداعي وإنساني دؤوب ومعتاد، امتد على أكثر من خمسين عاماً، في أعمال أدبية وعلمية تجسد سعي الكاتب في الدفاع عن كرامة الإنسان العربي ومواجهة الاستبداد والعسف والطغيان.

وقد أُلقي بعض الكلمات الأخرى من قبل شخصيات أكاديمية وسياسية عززت اليقين بمكانة الدكتور خصباك وجهوده العلمية والأدبية الثرية التي أغنت المكتبة العربية بالعطاء المعرفي والثقافي المهم.

وفي ختام هذه الاحتفائية أُعطيت الكلمة للدكتور شاكر خصباك، الذي قُلد بأكثر من قلادة

من الفل اليمني المعطار، ووضعت بين يديه أكثر من باقة ورد؛ حيث أبدى شكره واعتزازه بهذا الذي قيل فيه وفي أدبه، شاكراً الدكتور عبدالعزيز المقالح، الراعي النبيل لهذه الاحتفائية، ومن خلاله اليمن، التي وفرت له وطناً ومساحة فيء طيّب لكي يكتب كل ما يريد وبحرية تامة.

أخيراً، فإن تلك الاحتفائية الكريمة بالدكتور شاكر خصباك وأدبه تؤسس لتقليد نبيل ينبغي له أن يتواصل، لينال من خلاله الأدباء والعلماء والمفكرون، الذين أثروا مجالات الإبداع والمعرفة بعطائهم، الاعتراف المستحق بأيادي فضلهم البيضاء على أجيال متلاحقة، شكل منجزهم لها زوادة من المعرفة والجمال والقيم الإنسانية التي يصدق عطاؤهم بها.